شعر العربية للأمير صديق حسن خان البهوپالي
دراسة أدبية نقدية في شبه القارة الهندية

سعد الله المحمدي

لقد نبغ في أرض الهند كثير من الشعراء البارعين، وقادة الفكر الذين كانوا أصحاب إبداع وعبقرية في الشعر، وأصحاب دعوة ورسالة في الفكر، مستمسكين بالثقافة العربية، ومحافظين عليها ومنتجين فيها،حتى تكاد آثارهم تشكّل مدرسة أدبية خاصة في الأدب والكتابة الإسلامية[١]. ويعتبر الأمير صديق حسن خان ١٢٤٨-١٣٠٧هـ أحد روّاد هذه المدرسة الأدبية حيث ترك وراءه تراثا علميا ضخما، ومؤلفات نفيسة حافلة بروائع أدبية ومادة علمية تلفت إليها نظر القارئ لما تفيض به من حسن العبارة وجمال الأسلوب ودقة التعبير وسلاسة التركيب، وروعة البيان ونفحة الخلود.

ونظرا لعملي السابق في دراسة أدب الأمير صديق حسن خان حيث قمتُ بدراسة أعماله الأدبية النثرية وإيضاح خصائصها ومميزاتها الفنية، وخلال اطلاعي على معظم مؤلفات الأمير المطبوعة في بـهوپال (الهند) قبل أكثر من قرن، وحصولي على دواوينه الشعرية بالعربية والفارسية؛ اتضحت لي جوانب أخرى من حياة الأمير، منها أنه يتمتع بموهبة إلهية ونعمة خارقة في الكتابة والتأليف والإبداع في ميادين الأدب، ويجمع إلى إمارة الحكم إمارة في ميدان الشعر والأدب التي تخفى على كثير من الباحثين والدارسين، فكان ذلك حافزا كبيرا لي على إعداد هذه الدراسة عن تراثه الشعري باللغة العربية.

من المعلوم أن العربية كانت ـ ولازالت ـ لغة الدين وعلومه عند المسلمين في شبه القارة الهندية منذ أكثر من ألف عام، بينما الفارسية تعتبر لغة الأدب والثقافة، وكان الأمير يجيد اللغتين ويبدع فيهما أعمالا ويؤلف بهما كتبا ويقرض بهما شعرا حتى كان بحقّ أحد الشعراء الذين يطلق عليهم المصطلح الأدبي

١- أبو الحسن الندوي، **المسلمون في الهند**، المطبعة الندوية بمؤسسة الصحافة والنشر، لكهنو، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ص ٦٢.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

"الشعراء ذوو اللسانين" والذين نجدهم بكثرة في شبه القارة وخلال العصر الغزنوي على وجه الخصوص[٢]. والذي يهمّنا في هذا البحث هو إلقاء نظرة نقدية على شعره باللغة العربية فقط، وإن كان قد ثبت لديّ بعد قراءاتي المتكررة في شعره باللغة الفارسية أنه لا يقلّ عن مستوى شعره العربي من حيث فنون القول والمعاني، إذ أنتجه في شتّى الموضوعات والمناسبات، وذلك أمر يحتاج إلى بحث مستقل[٣].

الأغراض الشعرية:

تناول الأمير في شعره بعض الأغراض الشعرية التقليدية من المدح والغزل والوصف وغيرها، ومن أهم الأغراض التي عالجها:

١- المدح النبوي:

من المعروف أن المدح النبوي هو أصدق أنواع الشعر منذ صدر الإسلام و"لون من التعبير عن العواطف الدينية وبابٌ من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا من قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[٤]. والمديح النبوي أكثر الأغراض الشعرية انتشارا في شبه القارة، تناوله شعراؤها بالتفنّن والتوسع في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر شمائله وفضائله وأخلاقه ومناقبه، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث تفيض قصائدهم المدحية بالعواطف الدينية والإعجاب بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر مآثره ومحامده والإشادة بصفاته المثلى وخلقه الرفيع مما يدلّ على صدق قائليها وإخلاصهم له في المحبة.

وتبارز في ميدان التسابق إلى المدح النبوي فرسان من الشعراء المجيدين بلغ نجاحهم في التعبير عن عواطفهم الصادقة تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى حد أن حاز الشاعر "غلام علي آزاد البلگرامي" ت ١١٩٤هـ على لقب "حَسّان الهند" نظرا لكثرة مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم وابتكاره ونبوغه في المدح النبوي وتفانيه في ذلك وإبداعاته في معانيه. وتناول الأمير صديق حسن خان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في قصائده المدحية فكان لها نصيب الأسد من بين أغراضه الشعرية الأخرى حيث فاقت عليها كمّاً وكيفاً، يُسانده فيها طُول النفس وصدق التعبير وقوة الأسلوب وروحانية

٢- طلا محمد البشاوري، **ديوان القاضي**، تحقيق: ظهور أحمد أظهر، المجمع العربي الباكستاني، لاهور، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص ١٩-٢٠.

٣- انظر على سبيل المثال: الأمير صديق حسن خان، **ديوان گل رعنا**، المنشور في بهوپال، د. ت ص ٢-٣. وكذا: الأمير صديق حسن خان، **شمع أنجمن**، المطبع الشاه جهاني، ١٢٩٣هـ، ص ٤٨١.

٤- زكي مبارك، **المدائح النبوية**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ص ١٧.

العاطفة، ولعل اهتمامه الشديد بهذا اللون الشعري يرجع إلى ثقافته الدينية الواسعة وتكوينه الأدبي النابع من الثقافة الإسلامية. والناظر في قصائد الأمير المدحية يدرك أنها لم تختص بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب بل تضمنت إلى جانب المدح جزءا كبيرا من الغزل والتشبيب، إذ يبدأها عادة بمقدمة غزلية ليتخلص منها إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فتطول المقدمة في بعض القصائد بأسلوب رائع يأخذ بمجامع الألباب إلى درجة أن يشعر القارئ وكأنه يقرأ قصيدة غزلية من قصائد العصر العباسي، ومن هذا النوع مقدمته الآتية:

أشهى من الخندريس اللامع الكاسِ ومن زيارةِ غيدٍ ذاتِ وسواسِ[٥]
ومن عيونٍ كفنجانٍ وَعين ظبا ومن قِوامٍ كغصن البانِ ميّاسِ[٦]
ومن فمٍ أضيق من قلبِ بَخّالٍ ومن وُجوهٍ مضيئاتٍ كنبراسِ
ومِنْ ذوائبَ قد طالتْ إلى قدمٍ ومن حواجبَ خودٍ مثلَ أقواس
ومن ثُديّ كحُقّ العاج ناعمةٍ وذات قرطٍ لفي الأذنين نوّاس[٧]

إلى آخر المقدمة التي يطول فيها نفَس الأمير ويأتي فيها بالمعاني المدحية التي تكاد تتحد مع بقية الشعراء الذين تناولوا هذا الفن... فيطلب شفاعته صلى الله عليه وسلم كقوله:

أنتَ الشفيع لعبدٍ لاشفيعَ له ترميه بالهَون ظلمًا أعينُ الناس[٨]

ويذكر في قصائده المدحية منزلته بين الأنبياء عليهم السلام:

فيا سيد الرسل الكرام ومن أتى بخير كتابٍ أعجَز الإنسَ والجنّا
وأنداهُمُ كفّا إذا حضرَ العطا فأعطى وما أكْدى وَمنّ ومامنّا
وأثبتُهم جاشًا إذا شهدَ الوغـى يفوقُ الحصَى مِن كفّه الضربَ والطَعنا[٩]

٥- الوسوسة: حديث النفس، ويقال لصوت الحلي: وسواس، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، بتعليق على شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ج ١،ص ٣٣١.

٦- الميس: التبختر من ماسَ يميس ميسا وميسانا: أي تبختر واختال، وغصنٌ ميّاس: مائل، **لسان العرب**، ج ٦، ص ٢٢٤.

٧- الأمير صديق حسن خان، **نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب**، المطبع الشاه جهاني، بـهوپال، د.ت، ص ٦٣-٦٤، وكذا: للأمير، **رسالة قول الحق**، دون دار نشر، كانپور، ١٢٧٣هـ، ص ١٧-١٨والنوس والنوسان: التذبذب والاضطراب، الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج ١، ص ٧٤٧.

٨- **نفح الطيب**، ص ٦٥.

٩- صديق حسن خان، **منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول**، المطبع الشاه جهاني، ١٢٩٢هـ، ص ٢٢٣.

ويشيرُ إلى التبشير برسالته في الكتب السابقة:

والرسلُ قد بشّرت بالمصطفى أمَمًا مِن قبل أن تَمْضِي الأزمانُ والحقبُ(١٠)

ويهتم بمحامد النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله، فيذكر أن محامده صلى الله عليه وسلم ومحاسنه تفوق في الطِيب والجمال، الروضة الغناء التي تشدو بها الطيور المرحة الألحان الجميلة:

فما روضة غناء باكرَها الحيا وغنّت بها أطيارها بالتغزل
بأطيب نشرٍ من محامدِ ذِكره وأحسنَ مِن أوصافه لو تأمّلِ(١١)

ويتطرق لذكر أوصافه الخَلقية والخُلقية من جمال وجهه وحسن قامته وكريم طبعه وسعة صدره قائلا:

جميلُ وجهٍ رشيقُ القدّ مربوعٌ رحبُ الذراعِ رحيب الساح هِرماس
سهل السماح طويلُ الباع ذي صفحٍ كريمُ طبعٍ عظيمُ الشان قسقاس(١٢)

والأمير يتنوع في خطابه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فأحيانا يخاطبه بصيغة الغائب كما في الأمثلة السابقة وأحيانا يخاطبه صلى الله عليه وسلم في مدحه له خطابا مباشرا كقوله:

يا أيها الشمس الرفيعُ مكانُه ضاءت بنورك ساحة الترباءِ
المع عليّ عنايةً وعطوفةً وأنر حنادسَ مهجتي السوداءِ
ولكَ الشفاعةُ والمكانةُ في غدٍ ولأنتَ أكرم معشرِ الشفعاءِ(١٣)

وكأنه تأثر في هذا المجال بما انفرد به المتنبي في مذهب المدح من مخاطبة الممدوح مخاطبة المحبوب والصديق بحيث يشعر"بأن شعر المدح صادر عن قلب صادق الودّ وعن الإخلاص والإعجاب"(١٤).

١٠- الأمير صديق حسن خان، **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ص ٢٥٧.

١١- **نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب**، ص ٦٨.

١٢- المرجع السابق، ص ٦٤، والهرماس: من أسماء الأسد، يقال: أسد هرماس أي الجريء الشديد. **لسان العرب**، ج٦، ص ٢٤٨، والقسقسة: السؤال عن أمر الناس، ورجل قسقاس يسأل عن أمور الناس، وقسقاس أي سريع لا فتور فيه، **لسان العرب**، ج ٦ ص ١٧٥-١٧٤.

١٣- **نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب**، ص ٦١. والحندس: بالكسر، الليل المظلم والظلمة، ج حنادس، وتحندَس الليلُ: أظلم، والرجلُ: سقطَ وضعف، **القاموس المحيط**، ص ٦٩٥.

١٤- أحمد أحمد بدوي، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت، ص ١٩٥. يقول المتنبي =

ويقف عند معجزاته صلى الله عليه وسلم وعلى رأسها القرآن الكريم الذي عجزت العرب عن الإتيان بمثله ولو بآية من مثله مع امتلاكها لناصية البيان وفنون القول الفصيح، وأساليب الكلام البليغ نثرا وشعرا، فيقول:

والله أيّده بالمعجزات ومِن ... أجلّها الذكر فيها البِشر والرهب
فيه المواعظ والأحكام ثمّ به ... أخبار من مرّ والأخلاق والأدبُ
قد أعجز العرب العربا بلاغتُه ... والشعر شيمتُهم والقولُ والخُطَبُ(١٥)

دراسة القصيدة العنبرية:

وبعد هذا التقديم الموجز لمدائح الأمير أودّ أن أقف عند لاميّته المدحية "القصيدة العنبرية في مدح خير البرية" بدأها بالمطلع الغزلي التالي:

لسلمة دار بالدخول وحومل ... عفا آيَها ريحُ الجَنوب وشمأل
فتلك ربوع قد خلت عن أهيلها ... فأمست قفارا بادرات التعطّل(١٦)

وتتضمن هذه المقدمة الحديث عن البين والفراق، والوقوف بديار الأحبة التي محتْ رياح الجنوب والشمال آياتها، فتركتها قفارا خالية عن أهيلها ـ بالتصغير شفقة ورحمة ـ الساكنين بها، حيث يقف بها ودمعه يجري صبابة وكآبة يستحضر مَن كانوا فيها من الأحبة، فلم يشاهد حيّا بمنزله، ثم يشكو صروف الدهر التي قامت بمحو طلول تلك الديار المحبوبة إليه حيث خرّبتها، ولم تقف عند ذاك الحد من الدمار بل حاولت طمس معالمها ودثور رسمها وأثرها مما أوقدت نيرانا في أحشاء الشاعر.

ولا يلبث ودمعه يجري أن يتذكر الأيام السعيدة ولحظات الوصل المنتشية التي قضاها بقرب حبيبته في تلك الديار مسرورا قرير العين ينعم بها ويسقيها كأسات الخمر المفلفل:

= مخاطبا ممدوحه كافور:

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوة ... ضعيفُ هوىً يبغي عليه ثواب
إذا نلت منــك الود فالمال هيّن ... وكل الـذي فوق التراب تراب

عبد الرحمن البرقوني، **ديوان المتنبي بشرح البرقوني**، دار الكتاب العربي، (د. ت)، ج ١، ص ٣٢٥. وأبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، **ديوان المتنبي**، دار صادر، بيروت، ط ١٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٤٨١.

١٥- **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، ص ١٥٧-١٥٨.

١٦- **نفح الطيب**، ص ٦٦. والأمير صديق حسن خان، **إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين**، مطبع نظامي، كانپور، ١٢٨٨هـ، ص ٢٦٧.

ولله أيام مضين بقُربها لقدْ عِشتُ فيها بالنعيم المخضل
أقمتُ بها دهرا بعينٍ قريرة وأسقيتُها كأسات خمر مفلفل[١٧]

ثم يوجّه عتابا إلى القوم الذين لم يتذوقوا آلام الفراق ولم يلفح لهيب الشوق شغاف قلوبهم، ومع ذلك يلومونه بالإفراط في الصبابة سفاهة وطيشا "وما علموا أن الصبابة تقتل"[١٨]. ويذكر أن وصل الحبيبة هو أصل الحياة وطيبها، ويستغل هذه الفرصة لوصفها بذكر بعض مفاتنها ومحاسنها قائلا:

دجوجية الفرعين معسولة اللمي بعيدة مهوى القرط ريّ المخلخل
أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحَشى رشيقة بان القدّ رخصة أنمل[١٩]

وبذلك يعلن للعزّال أنه لايكاد يصبر عن فراقها وبُعدها، وأنه قطع الفيافي والوديان في هواها وحبّها فلم يزده ذلك غير الحيرة والفقدان في متاهات الحبّ.. ويختم هذه المقدمة الغزلية ليبدأ بالمدح متخذا ببيتين من الشعر لحسن التخلص وهما:

إلى كم أقاسي صبوة البين واللظى وحتام روحي في سعير التعلل
ولا حظّ لي مِن حبهن سوى الجفا فيا قلب دَع ذكرى حبيبٍ ومنزل[٢٠]

وهنا يصل إلى غرضه الرئيس فيبدأ بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أنه هو "القصد لا وصل الحبيب المحجل" ويشير إلى بعض أوصافه صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والشجاعة، ويتطرق إلى منزلته بين النبيين عليهم السلام، ويصفه بأنه نبي أهل الوحي، وأن الأخلاق العظيمة والصفات النبيلة التي تمتع بها صلى الله عليه وسلم لا تعدّ ولا تحصى، لأنه اختص بجميع المزايا المرضية والخصال الحميدة عن الله تعالى، ويشير إلى معنى ربما لم يتناوله شعراء شبه القارة قبل الأمير وهو قوله:

كأن له في كلّ قلب مدينةً ومنه عطور الخلق شانت بمندل
فمن ذا الذي باراه في الفضل والعلى وأين الذي ضاهى بوُجد مهلل[٢١]

ثم يأتي لذكر بعض صفاته صلى الله عليه وسلم من الكرم والعطف ويشير إلى معجزة الإسراء

١٧- **نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب**، ص ٦٧.
١٨- المصدر السابق، ص ٦٧.
١٩- المصدر السابق، ص ٦٧.
٢٠- المصدر السابق، ص ٦٧.
٢١- المصدر السابق، ص ٦٨.

والمعراج، ويختم المديح بالصلاة والسلام على الرسول الكريم وآله وأزواجه وأصحابه قائلا:

عليه من الله الكريم تحية تطيب بها منّا حواشي محفل
سلامٌ على أزواجه وأهَيْلِهِ وأصحابهِ أهل الحديث المبجل(٢٢)

وأخيراً لا ينسى أن يذكر لقبه في البيت الأخير من القصيدة وهو أمر جرت عليه عادة شعراء الفرس والهند حيث كانوا يختارون لأنفسهم ألقابا ويذكرونها في أواخر منظوماتهم، والسرّ في ذلك أن الاسم الأصلي للشاعر ربما لا تسعه الأوزان فيختارون اسما مختصرا يسعه الوزن(٢٣) فيقول:

وعن عبده النواب يعفو كثيره متى غرّد القمري بحسن التغزل(٢٤)

والقصيدة بشكل عام تعتمد على الشكل الكلاسيكي المحافظ الذي يحفظ نضارة القصيدة وشموخها على مدى العصور، وقد اختار الأمير لامية امرئ القيس ت بين عام ٥٣٠ ـ ٥٤٠م، ميزانا فنّيا لهذه المدحية النبوية، ربما إنه يريد أن يفصل بين قداسة الدين واللغة العربية، خلافا للزعم المنتشر بين أدباء شبه القارة بقداسة اللغة العربية إلى درجة أن عددا من الشعراء كانوا يمتنعون عن تناول الموضوعات الطريفة بها والمشتملة على الغزل والتشبيب، لتأثرهم بالمدارس الدينية التي تنظر نظرة إجلال للغة العربية.

٢- المدح الآخر:

الناظر في شعر الأمير بالعربية يدرك أنه لم يسلك فيه مسلك التكسب بالمدح الذي جعله عدد من الشعراء طريقا سريعا إلى قصور الملوك والوزراء، إذ قبلوا منهم الصلات والهدايا على الشعر فكانوا يبالغون في ذكر محامدهم ومآثرهم في كلّ مناسبة ولا مناسبة، مما قلّل من شأن الشعر وجعله سلعة

٢٢- المصدر السابق، ص ٦٨.

٢٣- الأمير صديق حسن خان، **أبجد العلوم**، المكتبة القدوسية، لاهور، باكستان، ط ١، ١٤٠٣هـ، ج ١، ص ٣٢٤. وكان الأمير يلقّب نفسه في الشعر العربي بـ: "نواب" وفي الشعر الأردي بـ: "توفيق" بينما كان يلقّب في شعره الفارسي بنواب حينا وبتوفيق حينا آخر، ويكنّى بأبي الطيب.

٢٤- **نفح الطيب**، ص ٦٨، وكلمة "نواب" في الأصل عربية، مفردها نائب، لكنها تعتبر في الأردية مفردة ومعناها: الأمير، أو نائب الملك، وقد أطلقت على حكام المقاطعات في الإمبراطورية المغلية ثم على أفراد العائلات الإرستقراطية العريقة دلالة على ثروتهم ونبلتهم، وأطلقت في العهد البريطاني على الأمراء المسلمين في الهند، كما أن كلمة "مهاراجا" أطلقت على الحكام الهنادكة. انظر: **دائرة المعارف الإسلامية باللغة الأردية**، لجماعة من العلماء، جامعة بنجاب، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ج ٢٢، ص ٤٠٥.

يستغلونها ووسيلة للاسترزاق(٢٥). أما الأمير فلا يمدح شخصا إلا بما يرى فيه من الأخلاق الحميدة والصفات المرضية، لأن مدحه ناشئ عن الإعجاب والإكبار، إعجاب بصفات امتلأ بها قلبه فجرى لسانه، ولا يمدح طلباً للرغبة والعطاء، ولا طمعا في الصلة والملازمة، وإلى هذا المعنى يشير بقوله: "إني لم أمدح في عمري هذا أحدا من الأمراء طمعا في صلته وملازمته كما هو عادة الشعراء، وإنما نظمتُ الشعر العربي والفارسي إذا طابَ الوقت وطابَ الهواء"(٢٦).

أ- فيمدح الصحابة رضي الله عنهم ويذكر فضائلهم وشمائلهم ويحاول الذب عنهم متقربا إلى الله سبحانه وتعالى بحبّهم، ووفاء منه تجاه جهادهم وتضحياتهم لنشر الدين الإسلامي حيث يقول:

جاءت فضائلُهم في الذكر بينـــة ما فـي فضائلهم شَـك ولاريب
وأعرب المصطفى عن فضلهم وبنوا على التقى أمرهم في كل ما طلبوا
قاموا بنافلة الأعمال خالصـة لله واجتهدوا في فعـــل ما يَجبُ
وبلّـــغونا عن المختار سنتـــــه لولا عنايتهـــــم ما دُوّنت كتُب
لله كم جاهدوا الكفار واجتهدوا في الدين ثمّ إلى العلياء قد وثبوا(٢٧)

ب- ويتذكر الأيام الجميلة واللحظات السعيدة التي قضاها مع أحبابه في بهجة وسرور، فيذكرهم ويشتاق إليهم كلّما غرّد الحمام، ويحنّ إليهم كلّما لاح البرق في السماء، ويذكر مآثر أحبابه بدقة متناهية حيث يصفهم بصفات الإيمان وأنهم يُعرفون بسيماهم في وجوههم فيقول:

لله أحباب عرفناهم لمّا رأيناهم بسيماهم

ويشير إلى حقهم عليه وأنه لن ينساهم حفاظا على الودّ والعهد الذي قطعه على نفسه لهم، ويرى أن شعره يعجز عن وصفهم بما يناسبهم من علوّ المقام على الوجه اللائق، ويعتقد أنه من الظلم تشبيههم بالنجم والبدر وشمس الضحى، نظرا لسموّ منزلتهم وارتفاع شأنهم عنده فيقول:

٢٥- أحمد الشايب، **أصول النقد الأدبي**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة التاسعة، ١٩٨٥م، ص ١٨٣. وكذا: أحمد أحمد بدوي، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص ١٧٧-١٧٨.

٢٦- الأمير صديق حسن خان، **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ص ٥٥٢.

٢٧- **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، ص ٢٥٨.

وحرمـــــة الودّ الذي بيننا وبينهم ما إن نسيـــــناهم
إن لاحَ بـــــرق الغـــور أو غرّدت حمائم البان ذكرناهم
جلّوا عن الوصف فماذا عسى نقول فيهم إن وصفانهم
بالنجم والبدر وشمس الضحى نظلمهم إن قِسناهم
نستعمل الإيجاز في وصفهم فغاية الوصف همْ ما همْ[٢٨]

ج- وله قصيدة رائعة في مدح زوجته الأميرة شاه جهان بيگم حاكمة بـهوپال ت ١٣٠٩هـ يصف فيها بـهوپال الرائعة وساحاتها الجميلة، ويخاطب نفسه أن تنزل من المطية ويزيل عنها هموم الاغتراب حيث إنها وصلت إلى مرماها ووطنها فيقول:

وصلتِ حمى بـهوپال يا نفسُ فانزلي فقد نلتِ مأمولَ الفؤادِ المعوّل
ويا حبذا ساحاتها لكَ إنها نسيمُ الصبا جاءت بريا القرنفَل

ويتحدث فيها عن كرم الأميرة وجُودها وتعظيمها للعلماء، ويشبهها بالشمس والبحر، ويشيد بجودها وكرمها وحسن خلقها وكريم خصالها، حيث يحسّ الناقد في أبياته حبّ الزوج الصادق لزوجته المحبوبة وشغفه بها وتأثره بمحامدها وجُودِها قائلا:

معاذة أهل الفضل من كل حادث ملاذة أعيانِ العلاة الأفاضلِ
مغيثة أرباب الفواضل والحجى ثـمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل
هي البحر جودًا فيضها شمل الورى وقد نال من معروفها كل سائل
هي الشمسُ إفضالا يعمّ نوالها جميع الرعايا من صنوف القبائل
أفادت كراماتٍ بهمتها التي لها ليس مِثلاً عند كل ممـــاثل
أفاضت فيوضًا أخجلت جود حاتم أسالت إلينا هاطلا بعد هاطل[٢٩]

إلى آخر ما مدح من خلقها الكريمة ومزاياها العظيمة.

د- ومن هذا النوع من المدح أبيات قالها الأمير في زميله الشاعر القاضي طلا محمد البشاوري ت ١٣١٠هـ الذي يصف علمه ومجده وفضله بقوله:

٢٨- **إتحاف النبلاء**، ص ٣-٤.

٢٩- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ٩-١٠.

خِضَمّ محيط لا يُحاط بِعلمِه كريم المحيّا وافر المجد فاضلُ
ففي راحتيه للفُنونِ محلّة وفي نفسهِ حِلمٌ وعلمٌ ونائل(٣٠)

ويعبّر عن شوقه إلى رؤيته ولهفته للقائه بألفاظ رقيقة وكلماتٍ عذبة، ويُرسل إليه التحيات العطرة التي تحاكيه الحدائق الزاهرة، مذكّراً إياه أن بُعد الدار لا يمكن أن يكون حائلا بينه وبين ما في قلبه من أشواق وودّ تجاهه فيقول:

سلامٌ يحاكيـــهِ رياضٌ زواهر وشوقٌ به نامت عيونٌ سواهر
تحية من شطّت به عنك دارُه ولكنّه للودّ والعهدِ ذاكرُ
وإن كان بُعدُ الدارِ قد حلّ بيننا فأنتَ له سمعٌ وقلبٌ وخاطر(٣١)

٣- الرثاء:

الرثاء غرض من أغراض الشعر ومن أكثر الموضوعات علاقة وارتباطاً بالإنسان، وهي باقية بقاء الناس على وجه هذه البسيطة، ويعبر الشاعر في الرثاء عن حزنه وتفجعه لفقدان حبيب. وقد قام الأمير برثاء شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ بقصيدة يرثي فيها وفاته في السجن ويذكر مآثره ومكانته العلمية، حيث كان من أشدّ المعجبين به ومن أكبر مؤيديه في الهند، إلى أن قال بأن من كانت عنده كتب ابن تيمية و ابن القيم و الأمير الصنعاني والشوكاني "لكفته سعادة دنياه و آخرته ولم يحتج بعد ذالك إلى تصنيف أحد من المتقدمين والمتأخرين"، ويرثيه بقصيدة بديعة يشيد فيها بعلمه وقوة دليله وتمكنّه من حلّ المسائل الدينية، ويبكي على وفاته حبيسا وحيدا، ويشبهه في سجنه كأنه درّ نفيس وضع في الأصداف فيقول:

تقي الدين أحمد خير حبر خروق المعضلاتِ به تخاطُ
توفي وهو محبوس فريد وليسَ له إلى الدنيا انبساطُ
ولو حضروه حين قضى لألفوا ملائكة النعيم به أحاطوا
قضى نحبا وليسَ له قرينٌ ولا لنظيره لفّ القماطُ
فتى في علمه أضحى فريدًا وحلّ المشكلاتِ به يُناطُ
وحبسُ الدر في الأصدافِ فخر وعند الشيخ بالسجن اغتباطُ

٣٠- الأمير صديق حسن خان، **العلم الخفاق من علم الاشتقاق**، بتعليقات أحمد عبد الفتاح تمام، دار الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص ٩١.

٣١- المصدر السابق، ص ٩٠.

٤- **الغزل:**

الغزل والتشبيب كلمتان لا نكاد نجد بينهما فرقا في الاستعمال اللغوي حيث يطلق اللغويون إحداهما مكان الأخرى، ورد في كتب اللغة "شبّب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب، وهو يشبب بها أي ينسب بها والتشبيب النسيب بالنساء، و شبّب الشاعر بفلانة تشبيبا قال فيها الغزل وعرض بحبها، و شبب قصيدته حسّنها وزينها بذكر النساء"(٣٢). ومن هنا فأكثر النقاد لا يفرقون بين هذه الكلمات الثلاث(٣٣)، واستعملنا كلمة الغزل لأنها أكثر استخداما في عصرنا الحاضر.

والغزل نبض الشعر ودفء الحياة، ففيه يتحدّث الشاعر عن عواطفه ومشاعره، ويرسم لوعته واشتياقه، ويذكر جمال الحبيبة وحسنها وفرحها ومرحها وإقبالها وإعراضها في لحظة واحدة، وتناول الأمير الغزل بشكل يجمع بين جمال التعبير ووضوح الفكرة وقوة التأثير وصدق اللوعة والحنان وشدة الإقناع وتنويع الأسلوب، ولا غرو فإن الحبّ الصادق هو مصدر هذا اللون من الشعر، فإذا كانت العاطفة فياضة صادقة أثّرت في الشعر فجعلته قويّا مؤثرا ينسب انسيابا، وأمامك قصيدة نظمها الأمير في ريعان شبابه يمزج فيها الحبّ بالشكوى والألم باللذة، والفراق بالدعاء للحبيب حيث يبحث عن حبيبته التي تعلّق قلبه بها وافتتن بحبّها، ويدعو لها بالرعاية الإلهية ويشتكي إليها حاله، ويشبه نفسه بالمريض الذي يئس من الحياة ويتطلّع إلى علاج الطبيب دائما وملازمته له، ويستحثّها بأن الطبيب يضعُ الضمادَ على جرح المريض بينما أنتِ توقدين النار عليه بجمال وجهك المقمر وجلال طلعتك البهية قائلا:

يا غادة فتنتني أين مغناك ... وحيثما أنت عين الله ترعاكِ

أضنيتني ففؤادي بات محتضرا ... فهل تُداوينَ مُضنًى من محيّاك

إن الجمال ليوري في القلوب لظى ... أجلى الدلائل للعشاق مرآك(٣٤)

٣٢- **لسان العرب**، ج ١، ص ٤٨١، وأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير**، المكتبة العلمية، بيروت، ج١، ص ٣٠٢.

٣٣- **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص ١٣٧-١٣٩.

٣٤- من مصادر القصيدة: **نفح الطيب**، ص ٦٥. والأمير صديق حسن خان، **نشوة السكران من تذكار صهباء الغزلان**، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص ٧٩.

وهو يشير إلى حاله في حبها ويذكّرها بأن هواها يوقد في قلبه لهيبا من النار ويَرثي نفسه التي يعتبر موتها شهادة من أجل الهمّ والغمّ وراء تلك المحبوبة التي سيحبها حتى بعد الممات أيضا قائلا:

عساي إن مُت من أيديكِ متّ على　　شهـــــادة وفؤادي بعدُ يهواكِ

ولاينسى الأمير أن يستعطف حبيبته بأنها أبعدت عنها محبّا لم يجن في حقها أبدا، بل عشقها عشقا خالصا غير مبتدع فلا ينبغي أن تلومه على ذلك ويرجوها أن تجود عليه بنظرة من لطفها كرما وامتنانا، مذكّرا إياها بحبه لها قائلا:

إني عشقتُ وما عشقي بمبتَدعٍ　　الإنسُ والجنُ والأملاكُ تهواكِ
جُودي بحقي من عينيكِ لي نظرا　　ألستُ صبّا قويّا من نداماك
وعاضديني بتقبيل اللمى كرما　　فما ألذك تقبيلا وأهناك(٣٥)

وقد اهتم الأمير بهذا الغرض من الشعر وجعل الغزل مطلعا للقصائد المدحية، فغلبت عاطفته، وطال نفسه فيه بحيث يظنها القارئ قصائد غزلية مستقلة.

ولئن كنا قد عهدنا أن من الشعراء من تغنّى بمحبوبة واحدة بحيث عرف بها واقترن اسمه باسمها فقيل: مجنون ليلى وجميل بثينة وكثير عزة، إلا أننا نجد الأمير يتغنّى بمحبوبات كثيرات، أهمّهن "سلمى" التي يذكرها باسم"سلمة" حينا، فيذكر دارها البالية:

لسلمة دار بالدخول وحومل　　عفا آياها ريح الجَنوب وشمأل(٣٦)

ويسأل أخبارها عن ريح الشمال:

ياهيّرا أنت بالرجوى تواعدني　　وأنت تزهو بإبلاغ البشارات
هل أنت تشفي عليلا في الهوى قلقا　　يبكي لسلمى بحنات وأنات(٣٧)

والثانية "أسماء" التي يذكرها في قوله:

لم أرتكب في هوى أسماء معصية　　بأي ذنب رعاها الله قد قتلت(٣٨)

٣٥- **نفح الطيب**، ص ٦٥.
٣٦- المصدر السابق، ص ٦٦.
٣٧- المصدر السابق، ص ٦٢.
٣٨- **نشوة السكران**، ص ١٦٠.

ويقترن بهما الثالثة وهي "سعاد" فيتغزل بهن جميعا في أبيات له:

حكت سعاد لنا من حسنها عجبا فلو رأتها ظباء المنحنى ضألت

فاضت دموعي على جيراننا بدم هذي منازل سلمى قد خوت وخلت

كانت معمّرة مأهولة أبدا صارت بلاقع مذ أسماؤنا رحلت(٣٩)

والأخرى "سليمى" حيث يفديها نفسه قائلا:

بنفسي سليمى ما رأى الطرف ندّها بطيب شهي يزدري بالقرنفُل(٤٠)

والناظر في غزل الأمير يدرك أنه تغزل في المؤنث فقط، وهو غزل عفّ ورقيق في نفس الوقت، ولم يتغزل في مذكر بل يتعجب ممن تغزل في غلام أو ولد ويعيبهم(٤١). ومما يؤكد أن هذه الحبيبات وهميات هو أن الأمير ذكرها بشكل تقليدي معهود في التراث، فالأسماء المذكورة سبق وأن تغزل بها الشعراء الآخرون، وإن كان تغزل الأمير بها مليئا بالانفعال والتأثير إلى درجة تقرّبه من الحقيقة أكثر من الخيال.

٥- الوصف:

من الأغراض الشعرية للأمير الوصف، والوصف لغة الكشف والإظهار، يقال: وصف الثوب الجسم: إذا نمّ عليه ولم يستره، وهو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ويختص بالحيوان والنبات والأرض والماء والسماء وغيرها، كما أن المديح والهجاء والرثاء والنسيب مختصة بالإنسان وأخلاقه وطباعه ومزاياه(٤٢).

والمراد هنا الوصف الأدبي الذي يعتمد على الخيال وصدق التعبير والعاطفة(٤٣) ووَصف الأمير في أشعاره بعض الأشياء والأماكن، ولكن بشكل قليل ووصفه نابع من التأثير بالشيء في أعماقه والإعجاب به، فنراه يصف مشاعر الحج والكعبة المشرفة متأثرا بجمالها وبهائها ويتطرق إلى كسوة الكعبة وحلّة الجَمال عليها التي تميل نحوها الرقاب والقلوب وتأخذ بمجامع الألباب والعقول، بشكل يتشوق

٣٩- المصدر السابق، ص ١٦٢.

٤٠- **نفح الطيب**، ص ٦٧.

٤١- **نشوة السكران**، ص ٧٤.

٤٢- لجنة من أدباء الأقطار العربية، **الوصف**، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، د. ت، ص ٥ -٦.

٤٣- أحمد الشايب، **الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨م، ص ٩٠.

الإنسان بالقلب والعقل إليها، ويصف ترك الحجاج لديارهم وأحبتهم وسفرهم للحج بتمام رضاهم فيقول:

قد هجرنا الديار والأهل شوقا وقطعنا القفار وعرا وسهلا
وأتينا شعثا وغبرا نلبي ودموع الأشواق تزداد هطلا
ثَمَّ بعنا النفوس بيع سماح وعلمنا بأن وصلك أغلى

ويقول عن الكعبة المشرفة:

رفعت برقع الجمال ونادت ألف سهلا بالزائرين وأهلا
قد عفَا الله عنكم وحياكم برضاه وزادكم منه فضلا(٤٤)

ويذكر الديار المقدسة التي سافر إليها لأداء فريضة الحج قائلا:

بمكة لي غَناء ليس يفنى جِوار الله والبيت المحرم
ففيها كيمياء سعادة قد ظفرتُ بها من الحجر المكرم(٤٥)

فهو يصف تلك البلاد الطاهرة التي أحبها الله تعالى وأسبغ عليها خيراته، انطلاقا من أحاسيسه الإيمانية وشعوره بجلال الموقف.

ويتعرّض في مطالع قصائده المدحية غالبا لوصف الطلل والرسوم الدارسة التي عفت الرياح معالمها وآياتها، فأصبحت قفارا خالية عن أهلها الراحلين عنها بحيث تلوك الألسنة ذكرياتهم وأحاديثهم فقط. كما يتعرض في بعض قصائده الأخرى لوصف المرأة المحبوبة إليه ويذكر عنها الصدّ والإقبال، والذكرى والإعراض مع كلّ ورقاء تتغرد ومع كل نسيم يهبّ :

أنست ورقاء في ظل الأثيلات تروي أحاديث أرباب الصبابات
فأذكرتني عهودا بالحمى سلفت وهيجت فيّ لوعات الهمومات
صان الإله عن الآفات ساجعة تتلو على الصب بالألحان آيات(٤٦)

٦- الزهد والوعظ:

للزهد والوعظ نصيب كبير من شعر الأمير ويرجع هذا إلى أنه جمع بين العلم والإمارة في وقت

٤٤- صديق حسن خان، **أربعون حديثا في فضائل الحج والعمرة**، مطبع الرئاسة العلمية، بهوپال، ١٢٩٢هـ، ص ٦-٧.
٤٥- **التاج المكلل**، ص ٥٥١.
٤٦- **نفح الطيب**، ص ٦٢.

واحد، فكان خير خبير بأمور الناس وحالة المجتمع الذي يعيش فيه، فلا يبعد أن يسدّد الثغرات ويلمّ الشمل بنصائحه ومواعظه. وتتمثل مواعظه النثرية في خطبه التي جمعت ضمن كتابه **الخطب المنبرية** أما مواعظه الشعرية فهي عبارة عن قصائد وأبيات اختلج بها صدره عندما أدرك ظاهرة سيئة في المجتمع، أو علم بحكم منصبه ببعض أمراض الفساد ومساوئ الأخلاق التي كان يحاربها محاربة شديدة ويراها من أهم موانع الإصلاح بين الأمة. والناظر في مواعظه الشعرية يراه ناصحا لرعيته، مشفقا عليهم، وأمينا لهم، صادقا معهم، يوجّههم توجيها سليما وحكيما، ويدعوهم إلى ما فيه خير دنياهم وآخرتهم. فيقول عن قوم أحدثوا البدع في الدين من عند أنفسهم، وتركوا الحق وراء ظهورهموتسترّ وا تحت التصوف:

تَفرّقوا وعَصوا قولَ الإله ولم ... يراجعوا الحق بل عادوا كما ذهبوا
داء التصوف فاسأل عنه عافية ... فالحقّ أبلجَ عن وجهه حجب
كم بدعة أحدثوها لا دليل لها ... وكم أنافوا بدعواهم وما اقتربوا

ويدعو إلى الاتباع والسير على الصراط المستقيم الجلي الواضح الذي لا عوج فيه ولا ميلان عن الحق بقوله:

فالزم طريقا جليّا واضحا بلجا ... ما فيه ميل ولا حيف ولا نكب(٤٧)

ويقول في نصرة السنة ونبذ آراء الرجال إزاءها قائلا:

يا سنة طابت الدنيا ببهجتها ... العلم والدين والإحسان جدواك
عودي إليّ أعاد الله فضلك في ... أهل الحديث وأعطاهم مزاياك
إليكَ عني يا رأي الرجال فقد ... قصرت بالسنة الغراء إمساكي(٤٨)

ويدعو الأمير إلى الإعراض عن مباهج الدنيا وملذاتها فيذكر فناءها ودثورها وينصح بعدم الركون إليها قائلا:

تفنى السقاة وتفنى الكأس والنادي ... ومن تلاقيه من خلّ ومن عادي
فصرّف القلب عن دنياك باطلة ... يفنى الجميع ويبقى ربنا الهادي(٤٩)

٤٧- **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، ص ٢٥٩.

٤٨- **نفح الطيب**، ص ٦٦.

٤٩- سيد علي حسن خان، **صبح گلشن**، المطبع الشاه جهاني، ١٢٩٥هـ، ص ٥٤٧.

٧- **الشكوى والعتاب:**

عاش الأمير حياة مليئة من الحب والتقدير والوئام خاصة بعد زواجه من ملكة بـهوپال السيدة شاه جهان بيگم التي ألزمتها بالحجاب الشرعي فقام حسّاده أوّل الأمر على إطعام زوجته الملكة بأدوية العقم كي لا تلد من الأمير من يتقلّد الحكم على طريقته، و قاموا بتوجيه الاتهامات إليه ورميه بالتشدد ونشر العقيدة الوهابية وغيرها من التهم والمؤامرات التي كانت سببا في عزل الأمير من كلّ ألقاب التشريف التي منحت له من قبل الحكومة البريطانية التي سيطرت على الهند بعد إسقاطها الإمبراطورية المغولية الإسلامية عام ١٨٥٧م، ثم منعه من مزاولة أي عمل حكومي إلى حين وفاته، ومن هنا نجد الشكوى في شعر الأمير. وتتمثل الشكوى في شعره في جانبين:

الأول: الشكوى من صروف الدهر وحوادث الزمان، حيث يقول مخاطبا الزمان بعدما يئس من حوادث الدهر:

إن كان عندك يا زمان بقيةٌ مما تسيء به الكرام فهاتها(٥٠)

فهو يتذكر صروف الدهر وريب المنون وحوادث الدنيا وفنون الشجون، ويشتكي منها ويعذر نفسه في الشكوى متمثلا بقول حبيب بن أوس الطائي:

شكوتُ وما شكوى لمثلي عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها(٥١)

والثاني: شكواه المُرّة من الحسّاد والأعداء، فقد خصّص لها قصيدة طويلة من ٤٦ بيتا، وهي تبيّن حاله معهم، وتشير إلى منزلته واعتزازه بنفسه، ومؤامراتهم عليه. ويصف الأمير أعداءه فيها بأشد الأوصاف من الجحود والتكذيب وقصور العقل والنفاق وكثافة الطبع، لما نالوا منه وطعنوا في شخصيته وعلمه قائلا:

طعنوا بالتوهمـــات علينا في أمـــور بدت لكل لبيب
واستخفّوا بنا على سوء ظن ثم عادوا باللوم والتأنيب
وأرادوا إبطال رؤية فـــرق في الورى بين يابس ورطيب
كلّ ذا من كثافة الطبع فيهم وقصور العقل الخبيث السليب

٥٠- **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، ص ٩.

٥١- الأمير صديق حسن خان، **الإكسير في أصول التفسير**، المطبع النظامي، كانپور، ١٢٩٠هـ، ص ٢-٣. وانظر للبيت: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط ١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار إحياء التراث العربي، ج ٢، ص ١٩١.

ويصف قبح نياتهم في الآخرين ونزعتهم التشاؤمية التي أوصلتهم إلى التعذيب ويدعو عليهم بالهلاك في اللهيب، ويعتبر نفسه معلما ناصحا وداعيا ومحافظا على حرمة الوداد مع الجميع حيث لم يبادلوه الحب بالحب قائلا:

قمت فيهم معلما حسب جهدي ناصحا بين سائل ومجيب
داعيا للهدى بإخـــلاص قلب وكلام فصـل وصدر رحيب
حافظا مع كبيرهم وصغيرهم حرمات الوداد بالترحيب(٥٢)

ولا تعتبر هذه الشكوى إلا بعض الزفرات من قلب الأمير في حالات خاصة، ولاتعني أنه عيّر بالزمان أو عابه أو لم يرض بالقضاء إذ هو القائل:

أنا راض بما قضى واقف تحت حكمه
سائل أن أفوز بالخير من حسن ختمه(٥٣)

خصائص ومميزات شعر الأمير:

يتحدث الشاعر عن عواطفه وميوله، دون أن يتعب فكره في انتهاج منهج خاص، ويأتي الناقد فيلفت نظره بعض الظواهر البارزة التي لازمت شعره فيقف معها ليدرك مواطن الجمال فيه، وليتمكن من معرفة منزلته وتقويمه الصحيح، وهذا ما يراد بالخصائص الفنية، فالخصائص الفنية هي إذًا حديث الناقد عن شعر الشاعر في الخصائص التي لازمت شعره، طوال تجربته الشعرية الخاصة. وبإلقائنا نظرات في شعر الأمير تبيّن لنا أن لشعره طابعا معينا، وله خصائصه الأسلوبية، كما أن له خصائصه الفكرية التي سنشير إليها إن شاء الله تعالى.

أولا: الأسلوب والأداء التعبيري:

١- التضمين:

التضمين: لغة جعل الشيء في ضمن الشيء مشتملا عليه، والتضمين في الشعر أن يضَمِّن الشاعر شعره بيتا أوشطرا من الشعر ليس له فيأتي به في آخر شعره أو وسطه متمثلاً به، والمضمن من أبيات

٥٢- الأمير صديق حسن خان، **الروض الخضيب من تزكية القلب المنيب**، مطبع مفيد عام، ١٢٩٨هـ، ص ٩٢-٩٣.

٥٣- الأمير صديق حسن خان، **المقالة الفصيحة في الوصية والنصيحة**، مطبع مفيد عام، ١٢٩٨هـ، ص ١٦٥.

الشعر ما لم يتم معناه إلا في البيت الذي بعده[٥٤]. وقد ضمّن شعر الأمير بعض الأشطر الشعرية كتضمينه عجز امرئ القيس في بيت له عن مدينة بـهوپال:

ويا حبذا ساحاتها لك إنها "نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل"[٥٥]

بينما يقول امرؤ القيس:

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل[٥٦]

وتضمينه صدر معلقة امرئ القيس في قوله:

تذكرت عهدا بالحمى وبمن مضت "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"[٥٧]

ويقول امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[٥٨]

وتضمينه عجز بيت أبي طالب بن عبد المطلب في قوله عن زوجته الأميرة شاه جهان بيگم:

مغيثة أرباب الفواصل والحمى "ثمال اليتامى عصمة للأرامل"[٥٩]

بينما يقول أبو طالب في شأن النبي صلى الله عليه وسلم:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل[٦٠]

٥٤- محمد عبد الرءوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: رضوان محمد الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ج ١، ص ١٨١. وكذا: **لسان العرب**، ج ١٣، ص ٢٥٩.

٥٥- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ٩.

٥٦- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزوني، **شرح المعلقات السبع**، دار الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان، د.ت، ص١٠. وضاع الطيب وتضوّع: إذا انتشرت رائحته. الريا: الرائحة الطيبة. أي إذا قامت أم الحويرث وأم الرباب فاح المسك منهما.

٥٧- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ٩.

٥٨- **شرح المعلقات السبع**، ص ٧ و**ديوان امرئ القيس**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٢٩.

٥٩- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ٩.

٦٠- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج ٦، ص ٤٣-٤٤. وكذا: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ج ١، ص ٧٠٥.

وتضمينه صدر بيت شهير قالته أبناء الأنصار حين استقبالهم للنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة لأول مرة في قوله:

منّ الإله على الأجيال قاطبة إذا طلع البدر من نحو الثنيات(٦١)

حيث ضمنه بتغير يسير من قولهم:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

٢- الاقتباس من القرآن الكريم والسنة الشريفة:

من المعلوم أن الأمير كان عالم دين ومفسرا وأحد أشهر المفسرين للقرآن الكريم في شبه القارة، حيث يدل على ذلك مؤلفاته في التفسير، من أشهرها تفسيره **فتح البيان في مقاصد القرآن**، فلا عجب أن يحفظ كثيرا من الآيات القرآنية، ويقتبس من معانيها أو أجزائها الشيء الكثير ليدخله في شعره، ومن هذا القبيل قوله:

لم أرتكب في هوى أسماء معصية بأي ذنب رعاها الله قد قتلت(٦٢)

فأخذ معنى العجز من الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾(٦٣). وقال:

حب المليحة يوم الدين مكرمة هناك منه موازين الهوى ثقلت(٦٤)

وأخذ هذا المعنى من الآية الكريمة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(٦٥).

وفي قوله:

لك الحمد كم أمر عظيم دفعته وأبدلتنا من بعد خوف به أمنا(٦٦)

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(٦٧). وفي عجز بيته:

٦١- **نفح الطيب**، ص ٦٢.

٦٢- **نشوة السكران**، ص ١٦٠.

٦٣- سورة التكوير، الآيتان: ٨-٩.

٦٤- **نشوة السكران**، ص ١٦١.

٦٥- سورة القارعة، الآية: ٦-٧.

٦٦- صديق حسن خان، **منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول**، ص ٢٢١.

٦٧- سورة النور، الآية: ٥٥.

هديت إلى بحر من العلم زاخر ينابيعه من قاب قوسين أو أدنى[٦٨]

اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٦٩]. أما قوله:

وأجر علينا اللطف في كل لحظة وزدنا هدى إنا إلى ربنا هدنا[٧٠]

فنجد فيه الاقتباس من آيتين هما قوله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[٧١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[٧٢]. وفي قوله:

ولا تخزني في موقف الحشر وأعطني كتابي فضلا من أياديك باليمنى[٧٣]

اقتباس جزئي من معنى آية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[٧٤].

واقتبس كذلك من الحديث الشريف، ومن هذا القبيل قوله:

خير الحديث كتاب الله منزلة ثم الحديث له شمّ الفروعات[٧٥]

حيث اقتبس معنى الحديث الشريف: "خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم"[٧٦]. وفي قوله:

نفسي الفداء لتربة قدسية فيها نبي خاتم الأنباء[٧٧]

تلميح إلى الحديث الشريف: "أنا خاتم النبيين"[٧٨]. وقوله:

قدِمتُ وما قدّمتُ زادا من التقى أفوزُ به لكنّنا بكَ آمنا[٧٩]

٦٨- المرجع السابق، ص ٢٢١.

٦٩- سورة النجم، الآية: ٩.

٧٠- المرجع السابق، ص ٢٢٢.

٧١- سورة الكهف، الآية: ١٣.

٧٢- سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

٧٣- المرجع السابق، ص ٢٢٢.

٧٤- سورة الانشقاق، الآية: ٧-٨.

٧٥- **نفح الطيب**، ص ٦٣.

٧٦- أخرجه الإمام أحمد في **مسنده**، انظر: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، وبهامشه منتخب كنز العمال، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ، ج ٣، ص ٣٧١.

٧٧- **نفح الطيب من ذكر المنزل والحبيب**، ص ٥٩.

٧٨- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، ١٤١٠هـ ج ٣، ص ١٣٠٠.

٧٩- **منهج الوصول**، ص ٢٢٣.

اقتباس من الحديث الشريف: "خير الزاد التقوى"[٨٠].

٣- **الإشارات التاريخية:**

صدر من الأمير في أشعاره إشارات إلى بعض الشخصيات التراثية والأحداث التاريخية والأماكن المهمة. وفيما يلي أمثلة لهذه الإشارات:

أ- **الشخصيات التراثية:**

تستخدم الشخصية التراثية في الشعر إذا كانت تتميز تاريخيا عن غيرها بشيء يجعلها وحدها قادرة فنيا للتعبير عن قضية ما، و "يكون استلهامها متعدد الجوانب على حسب المغزى الدلالي وإيماءات السياق الرامز وما تورده القصيدة من جوانب الشخصية التراثية"[٨١].

ومن الشخصيات التي أشار إليها الأمير في شعره:

١- "آدم عليه السلام" وهو أبو البشر في قوله:

ثبتت نبوته وآدم جدنا قد كان في أسرى السما والماء[٨٢]

٢- وذكر "محمدا" صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين في قوله:

محمّد أحمد قد جلّ عن صفةٍ عفّى الظلام بنورٍ منه حسّاس[٨٣]

٣- وأشار إلى "حاتم الطائي" الشخصية التراثية المعروفة بالسخاء في مدحه لزوجته الأميرة شاه جهان بيگم:

أفاضت فيوضا أخجلت جود حاتم أسالت إلينا هاطلا بعد هاطل[٨٤]

٤-٥-٦ وذكر "إياس" الشخصية التاريخية المعروفة بالذكاء كما ذكر "أويس" و"ابن سيناء" الطبيب في معرض رده على علم الكلام وأهل المنطق اليوناني:

إياس غدا يهوى يقينا بأنه أويس فما أجدى ذكاه وما أغنى

كذاك ابن سيناء قارع السن نادم على كل ما أجرى اليراع وماسنّا[٨٥]

٨٠- علاء الدين علي المتقي الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: الشيخ بكري حياني، والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ج ٢، ص ٩٠.

٨١- رجاء عيد، **لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث**، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٢٢٥.

٨٢- **نفح الطيب**، ص ٥٩.

٨٣- المصدر السابق، ص ٦٤.

٨٤- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ١٠.

٨٥- **منهج الوصول**، ص ١٢٢.

ب ـ الأحداث والوقائع التاريخية:

يستلهم الأمير التراث الإسلامي بإشارات إلى الأحداث التاريخية في السيرة النبوية حيث "تتيح استلهامات الإشارات التاريخية من التراث الإسلامي متكأ فنيا يهيئ للقصيدة توهج أداء وزخم عطاء حين تنسكب في الذاكرة كل تذكارات الحدث الذاهب"(٨٦) ومن ذلك:

١- الإشارة إلى واقعة الإسراء والمعراج في قوله:

فازت بمعراج البراقع ذاته لله جذبة واهب الآلاء

وهنا برؤية ربه بلغ المنى هذا لعمري أعظم النعماء(٨٧)

ففيه إشارة إلى ما ورد في كتب الحديث الشريف والسيرة من ذكر الإسراء والمعراج إذ "أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق ـ وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها في منتهى طرفها ـ فحمل عليها، ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس" . ومنه إلى أبواب السماء(٨٨).

٢- الإشارة إلى غزوة بدر وبالتحديد رمي الرسول صلى الله عليه وسلم الحصى في وجه الكفار. حيث يقول:

وأثبتهم جأشا إذا حضر الوغى يفوق الحصى من كفه الضرب والطعنا(٨٩)

ففيه إشارة إلى ما ورد في كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ثم قال: "شاهت الوجوه"، ثم نفحهم بها فكانت الهزيمة(٩٠).

٣- الإشارة إلى حديث الشفاعة يوم القيامة بقوله:

فقامَ مقامًا لم يقُمه مِنَ الوَرى سِواهُ أزالَ الكربَ والهمّ والحَزنا(٩١)

٨٦- **لغة الشعر**، ص ٢٢٩.

٨٧- **نفح الطيب**، ص ٥٩.

٨٨- أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق جماعة من العلماء، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٣، ١٣٧٥هـ، ج ١، ص ٣٩٧-٤٠٣. وانظر: حديث الإسراء والمعراج في **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، دار الكتب العلمية، رقم: ٣١٤٧.

٨٩- **منهج الوصول**، ص ١٢٣.

٩٠- محمد بن عمر بن واقد الواقدي، **كتاب المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج ١، ص ٨١ . وكذا: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٢، ص ٦٢٨.

٩١- **منهج الوصول**، ص ١٢٣.

ففيه إشارة إلى الشفاعة التي تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة من بين الأنبياء عليهم السلام حيث ورد في الحديث الصحيح "يجمع الله الناس يوم القيامة... ارفع محمد قل يستمع، وسل تعطه، واشفع تشفع..."(٩٢).

ج- الأماكن التاريخية:

ويشير إلى الأماكن التاريخية فيذكر مكة المكرمة والمدينة المنورة والبيت الحرام والحجر الأسود والركن اليماني وغار حراء والقبة الخضراء كما يذكر ثنيات الوداع والهند وبهوپال، وفيما يلي أمثلتها:

١- ذكر مكة المكرمة والبيت الحرام والحجر الأسود في قوله:

بمكة لي غناء ليس يفنى جوار الله والبيت المعظم
ففيها كيمياء سعادة قد ظفرت بها من الحجر المكرم(٩٣)

٢- كما أشار إلى الحرم المكي والركن اليماني بقوله:

يا حبذا من أوى إلى حرم وحبذا ساكن الأيمان من ناس(٩٤)

٣- ويتذكر منازل طيبة (المدينة المنورة) بقوله:

كيف الوصول إلى منازل طيبة فيها لمفتقر حصول رجاء(٩٥)

ويصرّح أنه عشق على إقامتها وأنها جنة الدنيا في قوله:

إني عشقت على إقامة طيبة فمتى أفوز بجنة الدنياء(٩٦)

٤- ويذكر غار حراء في قوله:

ووجدت تعبيرا لهذا كاملا نيل المنى من طابة وحراء(٩٧)

٩٢- الحافظ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: "لما خلقتُ بيديّ"، طبعة دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ج ١٣، ص ٣٩٢.

٩٣- **التاج المكلل**، ص ٥٥١.

٩٤- **نفح الطيب**، ص ٦٥.

٩٥- المصدر السابق، ص ٥٩.

٩٦- المصدر السابق، ص ٥٩.

٩٧- المصدر السابق، ص ٦٠.

٥- وأشار إلى ثنيات الوداع بقوله:

منّ الإله على الأجيال قاطبة إذا طلع البدر من نحو الثنيات[٩٨]

٦- ذكر بـهوپال في قوله:

وصلت حمى بـهوپال يا نفس فانزلي فقد نلت مأمول الفؤاد المعول[٩٩]

٤- **المزج بين العربية والفارسية:**

من خصائص شعر الأمير المزج بين الشعر العربي والفارسي، وتتمثل هذه الظاهر في شعره في شكلين:

أ- **التلميع:**

وهو في اللغة: أن يكون في جسد الخيل بقع تخالف لونه، وفي الاصطلاح: أن يجعل الشاعر أحد مصراعي البيت من الشعر عربيا والآخر فارسيا، أو يأتي ببيت بالعربية ويعقبه ببيت بالفارسية[١٠٠]. وفيما يلي أمثلة لها من شعر الأمير:

عمرياران زمان شد دربي آراتلف قل لهم إن ينتهوا يغفرلهم ما قد سلف[١٠١]

وقوله:

نواب را بروضه سنت بُود مقام بُشرى له بذلك طوبى لزائريه[١٠٢]

ب- **الترجمة:**

وتكون هذه الصنعة بأن ينظم الشاعر بالفارسية معنى البيت العربي، أو ينظم البيت الفارسي

٩٨- المصدر السابق، ص ٦٢.

٩٩- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ٩.

١٠٠- رشيد الدين محمد المعمري الوطواط، **حدائق السحر في دقائق الشعر**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ ص ١٦٤، وكذا: السيد غلام علي آزاد البلگرامي، **سبحة المرجان في آثار هندوستان**، تحقيق: محمد فضل الرحمن الندوي، معهد الدراسات الإسلامية بجامعة علي گڑهـ الإسلامية، الهند، الطبعة الأولى ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٢٤٨ والأمير صديق حسن خان، **غصن البان المورق بمحسنات البيان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٦٨-٦٩.

١٠١- السيد محمد علي حسن خان، **مآثر صديقي** الموسوم بـ: **سيرت والا جاهي**، مطبع نولكشور، لكهنو، الهند، ١٣٤٢هـ، ج ٣، ص ١٩١. ومعنى الشطر الأول: إن عمر أصحاب زمانه ضاع في الآراء الباطلة.

١٠٢- المرجع السابق، ج ٣، ص ١٩١ ومعنى الشطر الأول: الروضة النبوية كانت مأوى للأمير.

بالعربية[١٠٣]. ومن هذا القبيل البيت الآتي:

يسوّد حبّ التبر قلبك آخرا وتجذب ذي الصفراء إلى السوداء

حيث ترجمه بالفارسية بقوله:

زر پرستي ميكند دل راسياه آخر اين سواد بصفرا ميكشد[١٠٤]

وترجمته للبيت القائل:

وفي بيت عين منك حلت أناسيّ لتنهب في البيت الحرام قوافلا

بقولـه:

درون خانه چشم تو مردمان هستند كه درميان حرم ميزنند قافله را[١٠٥]

وترجمته للبيت الشعري:

تفنى السقاة وتفنى الكأس والنادي ومن تلاقيه من خل ومن عادي

فصرّف القلب عن دنياك باطلة يفنى الجميع ويبقى ربنا الهادي

حيث ترجمه بقوله:

ساغر فانى وبزم وساقي فانى باهر كه شدى در وملاقاتى فانى

بردار دل ازهستى بى بود جهان الله بود باقي وباقى فانى[١٠٦]

٥- الألوان البلاغية:

استعان الشعراء منذ أقدم عصورهم بطائفة من المحسنات اللفظية والبيانية لغرض التأثير في سامعيهم من جانب، ولاتصالها بالأسلوب الأدبي من جانب آخر، ذلك أنه لا معنى للأدب بدونها. وقد اعتنى الأمير باستخدام المحسنات اللفظية والمعنوية في شعره دون تكلف أو افتعال، بل لإظهار الصورة بأجمل حلّة، وأزهى أسلوب، ولا أريد أن أحصي كل ما أتى به من وجوه بيانية وبديعية، ولكن أكتفي ببعض الأبيات التي تتضمن هذه الأنواع، ومنها:

١٠٣- **حدائق السحر في دقائق الشعر**، ص ٤٢.

١٠٤- **صبح گلشن**، ص ٥٤٧.

١٠٥- المرجع السابق، ص ٥٤٧.

١٠٦- المرجع السابق، ص ٥٤٧.

١- **التشبيه:**

ومنه قوله الذي يشبه فيه الرسول صلى الله عليه و سلم بركن البيت الحرام قائلا:

هو ركن بيت الله جلّ جلاله وعماد هذي القبة الخضراء[١٠٧]

وبالشمس:

يا أيها الشمس الرفيعُ مكانه ضاءت بِنُورِكَ ساحَة التربا[١٠٨]

وتشبيهه لزوجته الأميرة بالبحر في قوله:

هي البحر جودا فيضها شمل الورى وقد نال من معروفها كل نائل[١٠٩]

٢- **المجاز:**

حيث استخدم المجاز المرسل في قوله:

وأتينا شُعثًا غُبرًا نلبّي ودُمُوع الأشواق تَزدادُ هَطلا[١١٠]

فالأشواق لادموع لها، ولكن الدموع يكون للإنسان ومنشأه الشوق، فهو مجاز علاقته المسببية.

٣- **الكناية:**

وأكثر استعمالها من مثل قوله:

حليف العلا إن حلّ في صدر مجلس وحتف العدى إن ماس في رحب جحفل[١١١]

وقولـه:

دُجُوجِيّة الفَرعينِ مَعسولة اللّمى بعيدةُ مَهوى القُرط ريّ المخَلخَل

أسيلة مَجرى الدمع خمصانة الحشى رَشِيقَة بان القدّ رخصَة أنمل[١١٢]

١٠٧- **نفح الطيب**، ص ٦٠.

١٠٨- المرجع السابق، ص ٦١.

١٠٩- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ١٠.

١١٠- **أربعون حديثا في فضائل الحج والعمرة**، ص ٦.

١١١- **نفح الطيب**، ص ٦٨.

١١٢- المرجع السابق، ص ٦٧.

٤- **الاستعارة:**

التصريحية في قوله:

إن كنت في أرضِ بُعدٍ عن دِيارهم فالقَلبُ مَسكنُهم والروحُ مقترب(١١٣)

حيث شبه القلب بالمسكن بجامع السعة ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو المسكن للمشبه وهو القلب على سبيل الاستعارة التصريحية.

والاستعارة التمثيلية في قوله:

جَنّ الظلامُ وَعَينُ الشمس رَاقدةٌ فأينَ يا غَادَة الدهناءِ مَثواكِ(١١٤)

حيث لم يستعمل هذا التركيب "عين الشمس راقدة" على الحقيقة، إذ إن غياب الشمس لايعني رقود العين الحقيقي، فاستعماله في غياب عين الشمس مجاز، والعلاقة بينهما المشابهة.

واستخدم من الألوان البديعية:

١- **الطباق:**

ومنه "ذهاب وعودة" و "كآبة وسراء" في قوله:

لم يلق في هذا الذهاب كآبة ولعاد في آن مع السراء(١١٥)

و"يابس ورطيب" في قوله:

وأرادوا إبطال رؤية فرقٍ بينَ يابسٍ ورَطيب(١١٦)

٢- **الجناس:**

من مثل قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

انظر إلى دينه التوحيد كيف غدا فأنقذ الخلق عن إشراك أشراك(١١٧)

وقوله في مدحه صلى الله عليه وسلم:

فلاحَ منه فلاحُ الناس أجمعهم وطهّر الخلق من أدناس أرجاس(١١٨)

١١٣- **العبرة**، ص ٢٥٧.

١١٤- **نفح الطيب**، ص ٦٦.

١١٥- المرجع السابق، ص ٥٩.

١١٦- **الروض الخضيب**، ص ١٩٢.

١١٧- **نفح الطيب**، ص ٦٦.

١١٨- الأمير صديق حسن خان، **رسالة قول الحق**، مطبع كانپور، ١٢٧٣هـ، ص ١٧.

٣- **السجع**: كقوله:

فالآلُ والصحبُ قد فازوا وقد سعدوا وقد أطاعوا وقد نالوا وقد قربوا[١١٩]

وقولـه:

فالزم طريقًا جليّا واضِحًا بلجًا ما فيه مَيل ولا حيفٌ ولا نكب[١٢٠]

٤- **المقابلة**: في قوله:

فما وصلها إلا الحيوة وطيبها وما هجرها غير الحمام المبحل[١٢١]

٥- **التورية**:

كتوريته ببعض عبارات القران الكريم مثل قوله:

فإني في الأنساب منكم لواحد وقد قال في القرآن ربي ألحقنا[١٢٢]

وقولـه:

لك الحمد يا كافي الفتى كل مطلب وموجده من قبل من نطفة تمنى[١٢٣]

وتوريته بأسماء سور القرآن الكريم كقوله:

ولكنه لا ينفع العلم وحده وسل سورة الأعراف عن ذلك المعنى[١٢٤]

كما استغل بعض المصطلحات المنطقية للتورية كقوله:

لك الحمد حمدا بالعبارات كلها مطابقة والالتزامات والضمنا[١٢٥]

ثانيا: الصور والأخيلة:

ينظر الشاعر كغيره من الناس إلى الأشياء في الحياة وينفعل بها، ولكن نظرته إلى الشيء وانفعاله به لا يكون كنظرة عامة الناس وموقفهم منه، بل يكون انفعالا مؤثرا صادرا نتيجة خيال موسع وتصوير

١١٩- **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، ص ٢٥٨.

١٢٠- المرجع السابق، ص ٢٥٩.

١٢١- **نفح الطيب**، ص ٦٧.

١٢٢- **منهج الوصول**، ص ٢٢٣.

١٢٣- المرجع السابق، ص ٢٢١.

١٢٤- المرجع السابق، ص ٢٢٢.

١٢٥- المرجع السابق، ص ٢٢١.

رائع، وهذا ما أطلق عليه الصورة الشعرية التي تعتبر "أداة الشاعر لنقل تجربته الشعورية والفكرة التي انفعل بها إلى الآخرين على نحو مؤثر"(١٢٦). وعلى ذلك فالصورة جوهر فن الشعر وليست حلى زائفة، إذ عليها يعتمد الشاعر في توليد المعاني الشعرية(١٢٧). ويجد الباحث في شعر الأمير صورا تأثر فيها ببيئته وصورا أخرى تقليدية، وفيما يلي تفصيلها:

الصور التي توحي بتأثير البيئة:

عاش الأمير صديق حسن خان في بيئة غير عربية، في بيئة تنطق باللغة الهندية وبقيت تحت سيادة اللغة الفارسية لعدة قرون، وبما أن البيئة تؤثر في نتاج الشاعر، نجد في نتاج الأمير صديق حسن خان الشعري صورا توحي بتأثير البيئة التي نشأ فيها، وتتمثل هذه الصور في التعبيرات وبعض الظواهر الثقافية الخاصة باللغتين الفارسية والهندية. فمن ذلك استعماله للألفاظ الفارسية في شعره العربي كقوله:

هذى أحاديثه بالفيض منعمة على المحبين بالآلاف واللاك(١٢٨)

فاللاك "لاكهـ" في لسان الفرس وأهل الهند عبارة عن مائة ألف وقد استعمله الشاعر في شعره العربي تأثرا ببيئته. ومن هذا القبيل استعماله للفظة "الماس" في قوله:

ومن وصال حبيب كان منتظرا وللمحاويج من درّ والماس(١٢٩)

وورد في كتب اللغة أن الماس حجر كريم في شبه القارة الهندية، قال صاحب اللسان: "الماس حجر معروف يثقب به الجوهر ويقطع وينقش قال ابن الأثير وليست بعربية". وذكر ياقوت في **معجم البلدان** في معرض ذكره لجزيرة سرنديب أنها "جزيرة عظيمة في أقصى بلاد الهند" ثم تحدث عن جبالها وقال: "إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض فيلقط، وفيه يوجد الماس أيضا ومنه يجلب العود"(١٣٠). ويدخل في هذه الظاهرة استعماله لكلمة"مندل"في قوله:

١٢٦- عز الدين إسماعيل، **الأدب وفنونه: دراسة ونقد**، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٣٩-١٤٩.

١٢٧- عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزن، **مدخل إلى تحليل النص الأدبي**، دار الفكر عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ص ٦٠-٦١.

١٢٨- **نفح الطيب**، ص ٦٦.

١٢٩- **نفح الطيب**، ص ٦٣.

١٣٠- **لسان العرب**، ج ٦، ص ٢١٣، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٤٣- ٤٤.

كأن له في كل قلب مدينة ومنه عطور الخلق شانت بمندل[١٣١]

والمندل اسم لبلد بالهند يجلب منه العود الفائق، والمندلي عطر ينسب إلى المندل ذلك البلد الهندي[١٣٢]. ومن ظواهر الثقافة غير العربية في شعره، إيراد لقبه "نواب" في أواخر بعض القصائد العربية كقوله:

نواب عبد رماه الدهر في كمد وأنت سلوته يوم الملاقاة[١٣٣]

وقولـه:

وعن عبده النواب يعفو كثيره متى غرّد القمري بحسن التغزل[١٣٤]

وهذا أمر معروف لدى شعراء شبه القارة والفرس حيث يذكرون ألقابهم التي يشتهرون بها في أواخر قصائدهم[١٣٥].

الصور التقليدية:

يشتمل شعر الأمير على كثير من مظاهر الصور التقليدية، وخاصة تلك التي استقل بها الشعر العربي القديم، من البكاء على الأطلال وذكر أسماء الحبيبات والأماكن التي التصقت بأسمائهن في التشبيب وغيرها من الظواهر، والتي مردّها إلى عكوف الأمير على ذلك التراث الشعري الزاخر الذي كان مادة مهمة من مواد ومقررات النظام التعليمي المعروف بالدرس النظامي، فلا يبعد أن يبقى لها صدى في أعماق شعره، وتأثير في نتاجه حيث عبرّ الأمير عن تلك الأشكال من خلال المظاهر الآتية:

١ - البكاء على الأطلال:

البكاء على الأطلال ظاهرة فكرية معروفة في الشعر العربي، حيث كان الشاعر العربي يقف ويستوقف صاحبيه أو أصحابه على ديار حبيبته ليتذكر الأيام السعيدة التي قضاها هناك، كقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[١٣٦]

١٣١- **نفح الطيب**، ص ٦٨.

١٣٢- **لسان العرب**، ج ٤، ص ٥١٤ وج ١١، ص ٦٣٣ – ٦٥٤، و**معجم البلدان**، ج ٥، ص ٢٠٩.

١٣٣- **نفح الطيب**، ص ٦٣.

١٣٤- المرجع السابق، ص ٦٨.

١٣٥- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ٣٢٤.

١٣٦- **ديوان امرئ القيس**، ص ٢٩ و**شرح المعلقات السبع**، ص ٧.

وقد حاكى الأمير هذه الظاهرة في شعره حيث قال:

لسلمة دار بالدخول وحومل عفا آيها ريح الجنوب وشمأل
فتلك ربوع قد خلت عن أهيلها وأمست قفارا بادرات التعطل
وقفت بها والدمع يجري صبابة وما بصرت عيناي حيّا بمنزل
لحى الله دهرا كيف عفى طلولها وأضرم نارا في حشاي المعلل
سعى في دثور الرسم بعد خرابها فتبّا وتعسًا للزمان المحول
ولله أيـام مضـــــين بقـربهـا لقد عشت فيها بالنعيم المخضل
أقمت بها دهرا بعين قريرة وأسقيتها كأسات خمر مفلفل(١٣٧)

٢- ذكر أسماء الحبيبات وأماكنهن:

تناول الشعراء العرب في شعرهم أسماء بعض الحبيبات اللاتي أصبحن رموزا في ميدان الحب بعدهم(١٣٨) كما أشاروا إلى أماكنهن وديارهن، فشببوا بـ: "سلمى" وسليمى" و"سعاد" و"أسماء" وغيرهن. كقول أحمد بن محمد النامي وهو يذكر "سلمى":

عقلت عيسا كأني كنت حاسدها بدار سلمى وترب الدار مستلم(١٣٩)

وقول أحدهم في "سليمى":

ألا ياسليمى قد أضرّ بي الهوى وهاجت بتبريح الغرام بلابلي(١٤٠)

وقول إسحاق الموصلي في سعاد:

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى ويا سؤل نفسي هل إليك سبيل(١٤١)

١٣٧- **نفح الطيب**، ص٦٦-٦٧.

١٣٨- يؤكد ابن الأثير هذا المطلب بقوله : "ويختار أيضا أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأميم وفوز وما جرى هذا المجرى" انظر: ضياء الدين نصر الله بن محمد، **المثل السائر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٢٧.

١٣٩- عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، **قرى الضيف**، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٨١.

١٤٠- شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهي، **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٣٨١.

١٤١- المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٣١.

وقول الشاعر وهو يتذكر" أسماء" :

نفى النوم عن عيني خيال مسلّم تأوّب من أسماء والركب نوّم

وخطب من الأيام أنساني الهوى وأحلى بفيّ الموت والموت علقم(١٤٢)

وتناولوا أسماء مساكنهن التي أضاءتها برهة من الزمان، حيث ذكروا "دخول" و "حومل" و"زوراء" واستخدموا كلمات معينة للدلالة على مواضع الحبيبات من مثل "ربوع، حمى ديار" وغيرها(١٤٣).

وترددت أسماء هذه الحبيبات الوهميات بشكل تقليدي لدى الأمير في أشعاره حيث بكى وراء "سلمى" وخاطب الربيع في شأنها وتحدث عن جمال "سعاد" وحسنها وتغنى بذكر ديار "أسماء" و"سعدى" كما رأينا مما استشهدنا به من أشعاره(١٤٤). كما استخدم الأمير الكلمات التي أصبحت أعلاما لمساكن الحبيبات "دخول، حومل، دار، ربوع" وهي مستخدمة في الأبيات التي استشهدنا بها لظاهرة البكاء على الأطلال آنفا، إضافة إلى استخدامه لكلمتي "حمى، وزوراء" بهذا الصدد كقوله:

ليس البلوغ بأرضها في قدرتي شتان بين الهند والزوراء(١٤٥)

وقوله عن الحمام الورقاء في ظل الأثيلات:

فأذكرتني عهودا بالحمى سلفت وهيجت فيّ لوعات الهمومات(١٤٦)

٣- استخدام الكلمات والتعبيرات التقليدية:

عبر الشعراء عن عواطف الحب بمختلف الصور والأساليب، ولكن اتحدت لديهم بصدد تعبيرهم عن هذه العواطف ظاهرة استخدام بعض الكلمات التي لها علاقة بالحب من ذكر النسيم الذي يذكر الشاعر برائحة الحبيبة العطرة التي يفوح شذاها يمينا وشمالا مع هبوبه، وسجع الحمام الذي يتلو ألحان الصبا فيطرب معها قلب الشاعر، وتشتعل في ذاكرته نيران الشوق والتلهف وراء المحبوبة، فلا يبالي

١٤٢- **قرى الضيف**، ج ١، ص ٧٢.

١٤٣- عبد الكبير محسن، "محاكاة شعراء العربية في شبه القارة الهندية الشعر العربي التقليدي"، مقال في **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، دبي، العددان، ٢٥-٢٦ ، ص ٥٦.

١٤٤- **نفح الطيب**، ص ٦٢، **ونشوة السكران**، ص ١٦٢، **ومنهج الوصول**، ص ١٢٢.

١٤٥- **نفح الطيب**، ص ٥٩.

١٤٦- المرجع السابق، ص ٦٢.

بعزل العوازل ولوم اللائمين. وهذه أمور نلمسها لدى الشعراء السابقين كقول المتنبي وهو يذكر النسيم:

وكيف التذاذي بالأصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا
ذكرتُ به وصلا كأن لم أفز به وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا(١٤٧)

وقول أبي عبد الله ابن زمرك:

أزور بقلبي معهد الأنس والهوى وأنهب من أيدي النسيم رسائلا
ومهما سألتُ البرق يهفو من الحمى يبادره دمعي مجيبا وسائلا(١٤٨)

وقول عبد الله بن الدمينة الخثعمي مخاطبا ريح الصبا:

ألا يا صبا نجد متى هجتِ من نجد لقد زادني مسراكِ وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غضّ النبات من الرَّند
بكيتُ كما يبكي الوليد ولم أكن جليدا وأبديت الذي لم يكن يُبدي(١٤٩)

وكقول الشيخ جمال الدين ابن نباتة مخاطبا العاذل:

يا عاذلي شمس النهار جميلة وجمال قاتلتي ألذّ وأزين
فانظر إلى حسنيهما متأملا وادفع ملامك بالتي هي أحسن(١٥٠)

ونرى أن شعر الأمير مشتمل على هذه الظاهرة، فهو يستأنس بالورقاء الساجعة التي تذكره بالأيام الماضية، وتهيج خاطره:

أنست ورقاء في ظل الأثيلات تروي أحاديث أرباب الصبابات
فأذكرتني عهودا بالحمى سلفت وهيجت فيّ لوعات الهمومات
صان الإله عن الآفات ساجعة تتلو على الصب بالألحان آيات(١٥١)

١٤٧- أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي، **المدهش**، تحقيق: مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٣٦١.

١٤٨- أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ج ٧، ص ١٥٨.

١٤٩- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، **ديوان الحماسة**، تحقيق: عبد المنعم صالح، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ص٣٩٤. والصبا: ريح القبول. والوجد: شدة الشوق. والورقاء: جنس من الحمام. والرونق: الضياء. والرند: نوع من الطيب. والفنن: الغصن الناعم. والغض: الطري.

١٥٠- **قرى الضيف**، ج ٢، ص ٥٧.

١٥١- **نفح الطيب**، ص ٦٢.

ويتذكر النسيم في قوله:

سرى نسيم صبا والصب مرتقب فارتاح شوقا لها وانزاحت الكرب[١٥٢]

وقوله عن بـهوپال:

ويا حبذا ساحاتها لك إنها نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل[١٥٣]

ويقطع على عزّاله أطماعهم في تصبره عن الحبيب قائلا:

فلا يطمع العذال مني تصبرا بفرقتها فالصبر عني بمعزل[١٥٤]

هذه بعض الصور التقليدية التي اشتمل عليها شعر الأمير صديق حسن خان، ولعل مرد التقليد فيها يرجع إلى شغفه الشديد بالتراث العربي القديم وتمكّنه منه بحيث إذا شاء أن يعيده في ذاكرته أعاده دون أي عناء ومشقة وجهد.

ثالثا: المعارضات والسرقات:

أ- المعارضات الشعرية:

المعارضات نوع من الفنون الأدبية التي تبرز مقدرة الشاعر على التجاوب مع غيره من الشعراء، ومجاراتهم فيما قالوه من شعر جيد حيث يلامس المشاعر، ويثير كوامن النفس، ويدفع بها لتأمله والتفاعل معه، ومن ثم محاكاته والنسج على منواله عرضا ورويا ووزنا وقافية[١٥٥]. وقد عارض الأمير بمقطوعاته وقصائده بعض الشعراء ممن استحسن أشعارهم فمن ذلك أن آزاد البلگرامي قال قصيدة غزلية مطلعها:

مليحة بغتة عن مقلتي رحلت يا صاح ما صار هـذا أينـما انتقلت

بخل النساء إلى هذا المدى تفه فما لعـــزة بالتـوديع قـد بخلت

طحت بقلبي وألقتني إلى أسف فابصروا أيها الجيران ما فعلت[١٥٦]

١٥٢- **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، ص ٢٥٦.

١٥٣- **أبجد العلوم**، ج ١، ص ١٠.

١٥٤- المرجع السابق، ص ٦٧.

١٥٥- أبو الوليد إسماعيل الحميري الإشبيلي، **البديع في وصف الربيع**، تحقيق ودراسة: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ص ٢٥ من مقدمة المحقق.

١٥٦- غلام علي آزاد البلگرامي، **ديوان السبعة السيارة**، مطبعة لوح محفوظ، حيدرآباد، الهند، ج ٢، ص ٤٤-٤٥.

وعارضها الأمير عن بديهية في مجلس واحد[١٥٧] بقوله:

لله غانية في مهجتي نزلت مالت إلى الوصل شوقا ثم ما وصلت
طحت بقلبي وضامتني بلا سبب يا أيها القوم قولوا كيف ما فعلت[١٥٨]

كما أنه أجاز بعض الأبيات أي أكملها من عنده فذكر قول الشاعر:

العفو يرجى من بني آدم فكيف لا يرجى من الرب

وقال مجيزا له:

فإنه أرأف بي منهم حسبي به حسبي حسبي[١٥٩]

وتختلف منزلة الشعراء عند المعارضات، فمنهم من تفاعل مع شعر وأعجب به فتطلع إلى معارضته بإبداع وجودة ربما تفوق معارضته على من يعارضه من الشعر إتقانا وإبداعا، ومنهم من كان يهدف من وراء المعارضة إلى مجرد المجاراة وإظهار المقدرة على الشعر أو بدافع التحدي، وأميل إلى أن معارضات الأمير كانت بين النوعين أي بين المجاراة وإظهار المقدرة حينا والتحدي حينا آخر، وإن كان ابن الأمير السيد على حسن خان يدعي قصب السبق لوالده الأمير في أشعاره ومعارضاته إطلاقا[١٦٠].

ب ـ السرقات:

تجدر الإشارة إلى أن نقد الشعر أو النثر أمر سديد لإظهار المحاسن والعيوب بهدف تعيين نوعيته وإحلاله مكانه المناسب، وليس هدفنا من هذا العنوان هو إلغاء الثروة الأدبية التي خلّفها الأمير، ولكننا نهدف منه إلى التقييم الصحيح لشعره. فمما لاشك فيه أن الأمير كان كثير القراءة واسع الآفاق، قرأ التراث ودرسه وتعمّق فيه، فتعلق بذاكرته منه الشيء الكثير[١٦١]. فلا غرو أن يستقي معاني بعض الشعراء وتعبيراتهم مما يعدّ سرقة في تقدير طائفة من الأدباء والنقاد ومن هذا القبيل قوله عن الحب بالسماع في رسالته إلى البشاوري الذي لم يره:

١٥٧- **صبح گلشن**، ص ٥٤٧.

١٥٨- **نشوة السكران**، ص ١٥٩.

١٥٩- الأمير صديق حسن خان، **المقالة الفصيحة** ، مطبع مفيد عام، ١٢٩٨هـ، ص ١٦٥.

١٦٠- **صبح گلشن**، ص ٥٤٤-٥٤٥.

١٦١- **نفح الطيب**، ص ٥٨.

فأنا المحبّ على السماع وقبل ما تهوى العيون عشقت بالآذان
نشوان من طيب السماع وطالما فاق السماع فكان فوق عياني(١٦٢)

فقد أخذ هذا المعنى من قول بشار بن برد حيث قال:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذي فقلت لهم الأذن تعشق كالعين توفي القلب ما كانا(١٦٣)

ولا ضير على الأمير في أخذه لهذا المعنى، لأنه صاغه من جديد، وقديما قال النقاد: إن الشاعر "إذا تناول المعاني التي قد سُبق إليها، فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب، بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه"(١٦٤). وأشاروا إلى أنه لابأس أن يأخذ الشاعر معاني المتقدمين إذ "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوا في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممّن سبق إليها"(١٦٥).

ولاشك أن الأمير كسا المعنى السابق حلّة جميلة وهي أنه زاد على عشق الأذن معنى الانتشاء والتلذذ من طيب سماع المحبوب، وبالغ في حصول هذه النشوة حتى كأنها فوق نشوة رؤية الحبيب عيانا. وهناك معان أخذها الأمير وكأنه لم يضف إليها جديدا، ومن هذا القبيل قوله:

نظر الكريم إلى الفقير عطوفة نظر العطوفة شيمة الكبراء(١٦٦)

فقد أخذه من بيت لآزاد وهو قوله:

نظر الحبيب إلى الفقير عناية نظر العناية شيمة الكبراء(١٦٧)

١٦٢- **العلم الخفاق**، ص ٨٩.

١٦٣- أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، شرح سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج ٣، ص ٥٩، وكذا: وابن خلكان، **فيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، منشور الرضي، ط ٢، ١٣٦٤هـ ج ١، ص ١٧٢.

١٦٤- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، **عيار الشعر**، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص ٧٩.

١٦٥- أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ص ٢١٧.

١٦٦- **نفح الطيب**، ص ٦٠.

١٦٧- غلام علي آزاد ، **السبعة السيارة، الديوان الأول**، مطبعة كنز العلوم، حيد آباد، ص ٥.

ويقول الأمير في نفس القصيدة من بيت له:

قد جئت سوحك ضارعا متضرعا مالي وراءك صارف الفَقراء[١٦٨]

وهو مأخوذ من قول آزاد:

قد جئت بابك خاشعا متضرعا مالي وراءك كاشف الضراء[١٦٩]

وقال الأمير:

أحسن إلى عبدٍ بحبك لائذ شأن الكرام رعاية الغرباء[١٧٠]

وهو شيء أتى به آزاد قبله في قوله:

أحسن إلى ضيفٍ بباك واقف شأن الكرام ضيافة الغرباء[١٧١]

وقال شاعرنا:

ولكَ الشفاعة والمكانة في غد ولأنت أكرم معشر الشفعاء[١٧٢]

وسبقه آزاد بقوله:

ولكَ الوسيلة والفضيلة في غد ولأنت أقدم معشر الشفعاء[١٧٣]

وللأمير بيت:

ما اهتزت الأرواح من نفس الصبا وتنفس الإصباح بالأضواء[١٧٤]

ولا شك أنه أخذه من آزاد حيث يقول:

ما اهتزت الأغصان من نفس الصبا وتغنت الورقاء في الغلباء[١٧٥]

١٦٨- **نفح الطيب**، ص ٦١. والساحة: الناحية، وفضاء بين دور الحي، جمعه: ساح، سوح، ساحات. انظر: **القاموس المحيط**، ص ٢٨٨.

١٦٩- **السبعة السيارة، الديوان الأول**، ص ٥.

١٧٠- **نفح الطيب**، ص ٦١.

١٧١- **السبعة السيارة، الديوان الأول**، ص ٥.

١٧٢- **نفح الطيب**، ص ٦١.

١٧٣- **السبعة السيارة، الديوان الأول**، ص ٥.

١٧٤- **نفح الطيب**، ص ٦٢.

١٧٥- **السبعة السيارة، الديوان الأول**، ص ٦. والغلباء: الحديقة الملتفة الشجرات.

ويقول الأمير:

إني عشقت وما عشقي بمبتدع　　الإنس والجن والأملاك تهواك[١٧٦]

وهو مأخوذ من قول آزاد:

إني هممت وما عشقي بمبتدع　　الآس والبان والغزلان تهواك[١٧٧]

وفي بيت للأمير:

إن الجمال ليوري في القلوب لظى　　أجلى الدلائل للعشاق مرآك[١٧٨]

وقد أخذه من قول آزاد:

حب الخرائد يوري في القلوب لظى　　أسنى البراهين للعشاق مرآك[١٧٩]

والواقع أن التشابه بين هذه الأبيات من حيث الوزن وبعض كلمات القافية لايعدّ سرقة لفنية آزاد ولا تقليدا له، إنما كل ما هنالك أن الأمير اقتبس بعض أبياته الشعرية بعد أن علقت بذاكرته، فحصل التماثل بين أفكاره وأفكار آزاد، ويعترف الأمير بهذا التماثل ويرجعه إلى كثرة القراءة وقوة الحافظة[١٨٠]. وأنا أميل إلى قبول حجة الأمير هذه، وأرى أنه لا يعاب عليه هذا الأخذ في الوقت الذي كان أدب شبه القارة فيه يجرّ أثقال وبصمات الاتجاه التقليدي، فلا يبعد أن يتأثر به، ويقتبس منه، خاصة وهو يعترف في كتبه بمنزلة آزاد ويشيد به وبأشعاره[١٨١]. وأنا لا أقصد أن أبرئ ذمة الأمير، أو أقول إنه لم يتأثر بشعر آزاد، بل أرى إن مجرد التشابه بين قصيدتين لشاعرين عاشا في ظروف متباينة، لا يعدّ سرقة بالضرورة، خاصة وإن الأمير لم يتأثر بآزاد وحده، بل تأثر بالشعراء الآخرين من عصور الجاهلية وصدر الإسلام حيث نجد خصائص أشعارهم في شعره، وملامح تعبيراتهم في تعبيراته، وأصداء تراكيبهم في تراكيبه، مثل قوله:

سيقرع عذالي على سنن الهدى　　بما قد جنوه من ندامتهم سنا[١٨٢]

١٧٦- **نشوة السكران**، ص ٧٩.

١٧٧- **سبحة المرجان**، ج ٢، ص ٣٣٢.

١٧٨- **نشوة السكران**، ص ٧٩.

١٧٩- **سبحة المرجان**، ج ٢، ص ٣٣٢.

١٨٠- **نفح الطيب**، ص ٥٨.

١٨١- **نشوة السكران**، ص ٩ وكذا: الأمير صديق حسن خان، **البلغة في أصول اللغة**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ٣٢٣.

١٨٢- **منهج الوصول**، ص ١٢٢.

فقد أخذ هذا المعنى من قول تأبط شرا حيث يقول:

لتقرعنّ علي السن من ندم إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي(١٨٣)

وقول الأمير:

عساي إن مت من أيديك مت على شهادة وفؤادي بعد يهواك(١٨٤)

وهذا معنى سبق به الآخرون حيث اعتبروا موت العاشق في سبيل العشق شهادة كقول الشاعر:

شهدت وما تغني شهادة عاشق بأن قتيل الغانيات شهيد(١٨٥)

فليس غريبا بالأمير أن يتأثر بآزاد ويحاكيه في تجربته الشعرية، وهو من سُمّي بحسّان الهند، ويعتبر مؤسسا لمدرسة خاصة في أدب شبه القارة الهندية وهي المدرسة المتكلفة المولعة بالبدائع والمحسنات التي يمثلها ديوانه **سبحة المرجان في آثار هندوستان**. ولم يمنع الأمير هذا التأثر بشعر آزاد وغيره من الشعراء أن يخوض تجربته المتميزة في الشعر وأن يسلك طريقته الخاصة في الأدب. أما إذا اعتبرناها سرقات معنوية فهي كما يقول الآمدي: "ليس من كبير مساوئ الشعراء وخاصة المتأخرين، إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولامتأخر"(١٨٦).

رابعا: الموسيقى الشعرية:

١ - شكل القصيدة وبناؤها:

كان الأمير صديق حسن خان متأثرا في قصائده العربية بشعراء العرب القدامى وخاصة أصحاب المعلقات من ناحية الشكل والبناء، حيث وجد في قصائدهم نماذج جديرة بالاحتذاء فشغل بها "كما شغل بها العرب في الجاهلية والمسلمون في صدر الإسلام وبعده، وشغل به الرواة والشعراء والنقاد في كل عصر من عصور التاريخ"(١٨٧). والناظر في القصائد العربية القديمة يرى شمولها على المطلع الغزلي

١٨٣- أبو عبيد البكري، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، تحقيق: إحسان عباس وعبد الحميد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٤٣، **والأغاني**، ج ٢١، ص ١٤٤.

١٨٤- **نشوة السكران**، ص ٧٩.

١٨٥- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج ٣، ص ١٢٧.

١٨٦- أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، **الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، بيروت، د.ت، ص ٢٧٣.

١٨٧- بدوي طبانة، **معلقات العرب، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي**، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ، ص ٧٧.

الذي كان الشاعر يقف فيه على ديار حبيبته ويتذكر لوعته واشتياقه إلى أهلها، ثم يتخلص منه إلى وصف الصحراء وحيوانها، ثم يتدرج إلى غرضه الأصلي الذي أنشأ له القصيدة، وكثيرا ما يختم قصيدته بحكمة(١٨٨). وقد سار الأمير على هذا النهج التقليدي في معظم قصائده المدحية حيث يبدأها بالمطالع الغزلي كما رأينا، و نجد للأمير قصائد بدأها بذكر الخمر والترف كقوله:

أشهى من الخندريس اللامع الكاسي ومن زيارة غيد ذات وسواس(١٨٩)

ولا شك أنه تأثر في هذا المجال بما أدخل على القصيدة العربية من بعض الإضافات في العصر العباسي، حيث ترك الشعراء الحديث عن الأطلال المهجورة إلى قصور الحاضرة المأنوسة ووصف الخمر أحيانا فأعطاها لونا من النشوة والطرب. فهذا أبو نواس يهاجم على مقدمة الأطلال مباشرة ويدعو إلى وصف الخمر بدلا منها(١٩٠) قائلا:

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضرّ لو كان جلس
اترك الربع وسلمى جانبا واصطبح كرخية مثل القبس(١٩١)

ويقـول:

أسقنيها يا نديمي بغلس لا بضوء الصبح بل ضوء القبس
وعلى ذكرى حبيبي فاسقني لا على ذكرى محلّ قد درس(١٩٢)

١٨٨- يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، ص ٢٥٦-٢٥٨. وقف نقاد العرب طويلا عند هذه الأقسام وطالبوا الشعراء بالاعتدال والتناسب بينها بحيث لا يطيل قسما على حساب آخر قائلين إن: "الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيملّ السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد". انظر: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، ص ٨١-٨٢.

١٨٩- **نفح الطيب**، ص ٦٣.

١٩٠- شوقي ضيف، **العصر العباسي الأول**، دار المعارف مصر، الطبعة الثامنة، د.ت، ص ١٦٣-١٧٩.

١٩١- ايليّا حاوي، **شرح ديوان أبي نواس**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٧. ودرس: اقتفر، وهو إنما يشير إلى امرئ القيس في قصيدته المشهورة:

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ
فتوضح فالمقراة لم يَعفُ رسمهـاَ لمـا نسجتْهـا مـن جَنُوب وشـمألِ

١٩٢- **شرح ديوان أبي نواس**، ج ٢، ص ٢٧.

وبجانب ذلك نجد للأمير قصائد لم يهتم فيها لا بسلوك منهج قصائد العرب القدامى، ولا بمنهج شعراء العصر العباسي، حيث يبدأها بغرضه الأصلي مباشرة، مثل قوله في إحدى قصائد الشكوى والعتاب:

بين أهل الجحود والتكذيب كلّ أمر من الأمور عجيب
تركوا ريبة بـأهل ارتياب واسترابوا في كلّ أمر مريب[١٩٣]

حيث لم يترك الشكوى والعتاب في بيت واحد من أبيات القصيدة، بل بدأها يذكر ما لاقاه من الحسّاد من ظلم وحيف، ويصف نواياهم الفاسدة، وأعمالهم المؤذية ولا ينفك يذكرهم خلال القصيدة حتى يسلّم أمرهم إلى ربه في آخر بيت من قصيدته حيث يقول:

وإلى الله قد توسلت فيهم وعليهم رب العباد حسيبي[١٩٤]

ومن هذا القبيل أي (دخوله إلى الغرض الأصلي) في القصيدة مباشرة مطلعه الآتي:

اخترت بين أماكن الغبراء دار الكرامة بقعة الزوراء[١٩٥]

٢- الألفاظ والتراكيب:

الناظر في شعر الأمير يدرك ولوعه الشديد بمحاكاة الشعراء القدامى وخاصة امرئ القيس في الشكل والمضمون، ومردّ ذلك إلى انتمائه إلى مدرسة الشعراء الهنديين الذين رأوا في المعلقات المثل الفنية العليا للشعر العربي، ومن ثمّ صاغوا شعرهم على غرار تلك المثل، ولا يكاد ينفرد الأمير بهذا النوع من التقليد والمحاكاة بين شعراء شبه القارة. فنراه يقلّد امرأ القيس في تعبيراته ومعانيه بشكل ملفت للنظر حيث نجد في لاميته التي نظمها على غرار قصيدة امرئ القيس حوالي سبع كلمات مشتركة بين قوافي هاتين القصيدتين، إضافة إلى عدد كبير مشترك في الألفاظ والتعبيرات مما يدلّ على أن الأمير ضمن قصيدته الكثير من أبيات قصيدة امرئ القيس وتعابيرها، وهذا التقليد لا يعدّ تقليدا بالمعنى السيئ، إنما كلّ ما هنالك أنه يستخدم المفردات والتراكيب التي درسها عند القدماء، ثم تعلّقت بذهنه، فإذا شاء استخدمها دون معاناة أو شدة تفكير. وقد أكسبت هذه التعبيرات شعر الأمير الإتقان والجودة وردّته إلى الجزالة والرصانة وسلمته من كثير من العيوب الشعرية والأخطاء اللغوية.

١٩٣- **الروض الخضيب**، ص ١٩٢.

١٩٤- المرجع السابق، ص ١٩٥.

١٩٥- **نفح الطيب**، ص ١٩٥.

٣- الأوزان الشعرية:

يرى نقاد العرب أن اختيار الوزن والقافية في مقدور الشاعر وطاقته وليس الوزن مما يفرض عليه فرضا، ولاهو بالخارج على حدود إرادته، ذلك بأن على الشاعر إذا أراد بناء قصيدة أن يفكّر في المعنى الذي يريده، وأن يعدّ له الوزن الذي يسلس له عليه القول(١٩٦) فيختار البحر المناسب(١٩٧) للغرض المناسب، فالطويل مثلا يستوعب ما لا يستوعبه غيره من المعاني، ويصلح للمدح والفخر والحماسة، وليس بين بحور الشعر ما يضارعه في نسبة شيوعه(١٩٨)، والبسيط يقرب من الطويل ولكنه أرقّ منه وأجزل، وهو لا يتسع لاستيعاب المعاني الكثيرة مثل الطويل، أما الكامل فهو أتمّ الأبحر يصلح لكلّ أغراض الشعر(١٩٩). وبإلقائنا نظرة في شعر الأمير نرى أنه يستخدم في قصائده ومقطوعاته الأوزان الآتية:

الطويل: مثل قوله:

لسلمة دار بالدخول وحومل عفا آيها ريح الجنوب وشمأل(٢٠٠)

البسيط: مثل قوله:

أنست ورقاء في ظل الأثيلات تروي أحاديث أرباب الصبابات(٢٠١)

الكامل: مثل قوله:

اخترت بين أماكن الغبراء دار الكرامة بقعة الزوراء(٢٠٢)

الخفيف: مثل قوله:

بين أهل الجحود والتكذيب كل أمر من الأمور عجيب(٢٠٣)

١٩٦- **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ص ٣٢٩-٣٤١.

١٩٧- بحور الشعر: جمع بحر ويطلق في اللغة على الشق والاتساع، وفي اصطلاح العروضيين وزن خاص يجري على منواله الشاعر في قصيدته، وسمي بحرا لأنه يوزن به ما لا يتناهى من الشعر. انظر: محمد عبد المنعم خفاجي، **موسيقى الشعر العربي**، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، د.ت، ص ٤٣.

١٩٨- إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، دون دار نشر، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م، ص ٥٩.

١٩٩- أحمد سليم الحمصي، **ابن زمرك الغرناطي: سيرته وأدبه**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ١٧٩-١٨٠.

٢٠٠- **نفح الطيب**، ص ٦٦.

٢٠١- المرجع السابق، ص ٦٢.

٢٠٢- المرجع السابق، ص ٥٩ .

٢٠٣- **الروض الخضيب**، ص ١٩٢.

الوافر: مثل قوله:

بمكة لي غناء ليس يفنى جوار الله والبيت المحرم[٢٠٤]

السريع: مثل قوله:

لله أحباب عرفناهم لما رأيناهم بسيماهم[٢٠٥]

وبهذا نأمل أن نكون قد أسهمنا بشيء من إيضاح معالم شعر الأمير صديق حسن خان القنوجي البـهوپالي الذي جمع بين الإمارة والسياسة مملكة الشعر والذوق الأدبي الرفيع، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

****

٢٠٤- **التاج المكلل**، ص ٥٥١.

٢٠٥- **إتحاف النبلاء**، ص ٣.